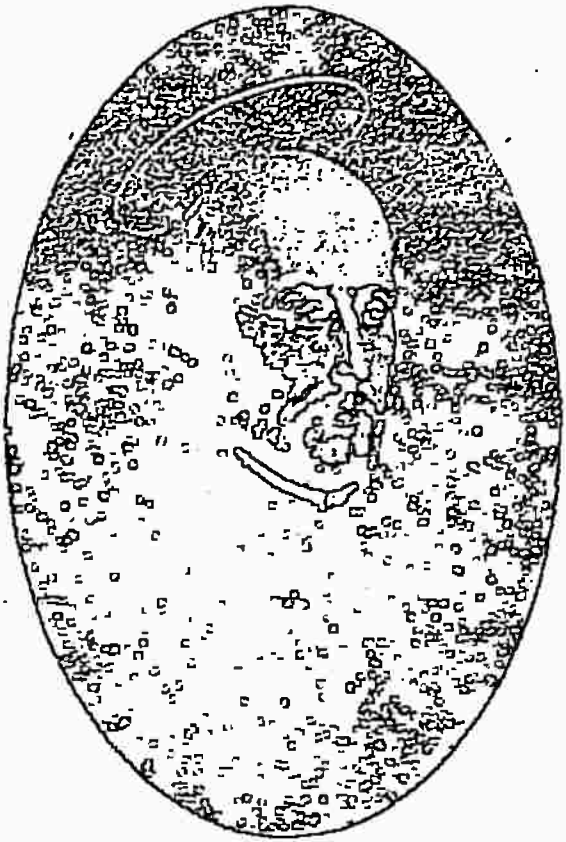

بعد ٤٠٠ سنة

١٥٤٠-١٩٤٠

في العام الـ ١٩٣٩ احتفلت الرهبانية اليسوعية بمرور ٤٠٠ سنة على تأسيسها لكن هذه الاحتفالات جرت في مظهر بسيط على امل التعويض بمناسبة مرور ٤٠٠ سنة على تثبيت الكرسي الرسولي قوانينها في العام الـ ١٥٤٠، وذلك بتوحيد الاحتفاء بالذكريين، لكن العام الـ ١٩٤٠ جاء مخضباً بالدماء. وتكفّر جوه بدخان

المدافع والقنابل وآلام البشرية المتشابكة بحرب ضروس .

ترى ما معنى هذه الارقام ؟ ما هي العلاقة بين العامين الـ ١٥٣٤ والـ ١٥٣٤ والعامين الـ ١٩٤٠ والـ ١٥٤٠ ؟

في العام الـ ١٥٣٤ حدث ذلك التألب الوضيع والخفي معاً ، الحافل باجل الآمال . ففي ١٥ آب من ذلك العام اجتمع سبعة من طلاب معهد السوربون ، القادمين من مختلف انحاء اوربة ، من نافارا وساڤوى ، والكاستيل والبورتوغال وغويبوتسكوا ، وقصدوا الى رابية مونمارتر المشرفة على باريس ، وابرزوا نذور الفقر والعفة وخدمة النفوس في اعمال الرسالة وزيارة القدس . ثم في العام التالي انضم اليهم ثلاثة آخرون من ساڤوى . وبيكاردية والبروڤانسة .

لسري يطيب لكل يسوعي فرنسي ان يرى هذا الحدث يجري في ذلك الموقع الشهير ، وليس ان باريس كانت منذ ذلك الوقت مصدراً لمشاريع التضحية والشرف . والعجيب في ذلك ان هؤلاء الشبان الذين أموا باريس للتحصيل لم يترددوا في اقتحام مثل هذا المشروع الخطير ، بينما كانوا يقيمون في موطن النقد والاندفاع ، ومعقل الفطنة والمقاصد الوثابة ، فلم تتحول اهواء الشباب الطائشة الى دخان في الفضاء أو الى تمثيل فصل من فصول الفروسية المعتادة في ذلك العهد بل جاءت موزونة بميزان الروية والحكمة ومطابقة للمقدور الانساني .

لم يقصد طلاب اللاهوت هؤلاء على قمة مونمارتر انشاء رهبانية ، ولم تكن نذورهم الا تعهدات فردية ، لانهم لم يكونوا ليعرفوا حتى ذلك الحين معرفة اكيدة الى اين يقصدون . وبينما كانت افكارهم متجهة نحو اورشليم اذا بهم يصلون الى رومية .

هناك ثبت جمعيتهم في ٢٧ ايلول من العام الـ ١٥٤٠ ممثل الساطة البيعية العليا ، البابا . ولما وقع البابا بولس الثالث براءة التثبيت الرسولية ، التي بدؤها « Regimini militantis Ecclesiae » وافق في الوقت عينه ، على المبدأ الاساسي الذي كان القديس اغناطيوس قد عرضه عليه . فاذا شئنا ان نعرف

ما هي الرهبانية اليسوعية ، فلا حاجة بنا الى ان نسأل مؤيديها والمدافعين عنها او اعداءها ، بل حسبنا قراءة هذا المبدإ الاساسي بصورته الاصلية والتعمق في معناه ، وقد دأوم اليسوعيون على بذل قصارى الجهد في تطبيقه : « وهو ان هذه الجمعية تأسست خصوصاً لاجل تقدم النفوس في الحياة المسيحية وتعاليمها ، ونشر الايمان بواسطة الوعظ العلني وكرازة الكلمة الالهية ، والرياضات الروحية واعمال الرحمة ولاسيما تلقين المبادئ المسيحية للاولاد والجاهلين . . . » وعلى اعضاء الجمعية ان يفهموا منذ خطواتهم الاولى منهج هذه النذور ، وعليهم ان يتذكروا كل يوم طوال حياتهم ان « على كل هذه الجمعية ، وعلى كل فرد من افرادها ، النضال من اجل الله في الخضوع الثابت لقداسة سيدنا البابا والاحبار الرومانيين خلفائه » ؛ ومع انه ينبغي على كل المؤمنين الخضوع لنائب يسوع المسيح ، « فانه يترتب علينا نحن بنذر خاص ، من اجل ممارسة التواضع ممارسة اكبر وتحقيق تجرد اكمل ، ان نتسم بدون ما مواربة او اعتذار ، وفي الحال حسب استطاعتنا ، كل ما يأمر به الاحبار الرومانيون لاجل خير النفوس ونشر الايمان ، وذلك في كل البلدان التي يريدون ارسالنا اليها . »

كانوا عشرة في العام ١٥٤٠ ، لكن لم تلبث اوامر الطاعة ان شتتتهم في مختلف الانحاء : رودريغيس وكسفاريوس في البرتغال ، بل ان كسفاريوس كان على وشك ان يسافر الى الهند ، اما بطرس فابر فكان يحضر اجتماع وورمس في المانية .

وهكذا ، لما حان الوقت لانتخاب الرئيس العام الاول ، لم يحضر عدد كبير من الجمعية الا بواسطة رقعة الانتخاب . وانه لمن الشيق التبرك بهذه الوريقات المحفوظة في الخزانة الرومانية وتقبيلها كانها ذخائر القديسين . ليست اوراقاً خالية من الحياة ، تضمنت اسماً واعلنت ارادة المنتخب بصورة سطحية . بل انها تحمل نصاً بليغاً املته بديهياً نفوس تشعر بما يخطه القلم وذلك بعبارات اختلط فيها الحديث الدارج بدون ما تشويش للغة اللاتينية الفصحى ، فتجلى منها ان هناك عالماً جديداً يجتاز فترة التطور . ويمكننا الآن مطالعة النص الذي كتبه القديس فرنسيس كسفاريوس والنص الذي خطه انامل الطوباوي بطرس فابر .

انا ، فرنسيس ، غير مدفوع بايّ اعتبار بشري ، ولا مستمع ، الا لضميري ، اقول واعترف انه ، في نظري ، يجب ان ننتخب رئيساً مُطاعاً لجماعتنا معلّمنا الاصيل وابانا الحقيقي ، دون اغناطيوس . لانه ، بعد ان يكون قد جمعنا ببذل المشقات ، يبدو اعرف الجميع بحفظنا ، وادارتنا ، وتوجيهنا دائماً نحو كمال أسمى ، لما بلغ من العمق في معرفتنا . ثم بعد وفاته (واني اتكلم وفقاً لعواطف نفسي العميقة ، كما لو كنت على وشك الموت في هذه الساعة) اعتبر ان الاب بطرس فافر جدير بان يخلفه . وأشهد الله ، في هذا ، على اني اتكلم وفقاً لفكري ، وبيانًا للامر اوقع بيدي .

من روما في ١٥ اذار ١٥٤٠

فرنيس

ان رأيي في ما خصّ الاقتراح مماثل لجهة اغناطيوس . وفي حال غيابه بداعي الموت ، لجهة الاستاذ فرنسيس كسفاريوس . واني اخضع كذلك لكل ما تقرّه الجمعية مدة غيابي ، اقرّ بكل شيء ، واؤيد هذا الإقرار بامضائي .

من سيير في ٢٣ كانون الثاني ١٥٤١

بطرس فافر

assy mismo yo francisco digo y afirmo q̃ en nyngun modo
sustituy el hominem digo / que el que ha de ser elegido por
perlado en nra. compañia / al qual todos habemos de obe-
decer me parece hablando conforme segund mi conciencia
que sea el perlado, nro antiguo y verdadero padre don
ignatio / el qual pues nos fundo aqui no con poca fa-
tos, no sin ellos nos sabra mejor conseruar gobernar y aum-
tar de vien en mejor / por esto me el alcabo de cada
uno de nosotros / et post mortem illius hablando segund lo que
my anima siente / como si hubiesse sobre esto de morir

digo que sea el padre mtro pedro fabro, y en esta parte
leuy esti mihi testis que no digo otro de lo que siento y por que
es verdad lo firme de mi propria mano escripto
en ffloma a 15 de mayo / 15 de mtro

Franciscus

[illegible]

XIV.

my voto arocca del exposito es por digo y en su absencia
por morte. por m. francisco de xabier, y asimismo todo
este effecto dando poder cumplido en my absencia a todos
mis comensales y para todo nombro aqui my notario firmando
tal instrumento de my mano. Data Rome die 23 januarij
1541

Pedro fabro

ان اقوال الاعتبار التي يتبادلها كل من الاثنين ، النيل من نافارا والراعي من اعلى جبال « البورنان » ، اذا ما القينا نظرة عليها الآن بعد اربعة قرون تمكننا من الولوج الى صميم هذين الرجلين ، فظهرت لنا الخبرة دائمة هي من الاسباب الخطيرة « لسر قدرة اليسوعيين » ذلك السر الذي هو ايضاً نذير لايام جديدة .

وفي ١٩ نيسان ١٥٤١ تسلم القديس اغناطيوس مهام الرئاسة العامة وقد كان اجمع رفاقه على انتدابه لها باتفاق الاصوات . فمن يجرؤ الآن ان يأمل بالاحتفاء احتفاء حافلاً في ١٩ نيسان ١٩٤١ بهذه الذكرى ، بعد ان ارغمتنا آلام البشرية ، في ٢٧ ايلول ١٩٤٠ ، على الاكتفاء بتلمس عواطف الندامة والشكر واتخاذ مقاصد حازمة للعمل بنشاط أكمل ؟

الاب دي برنتيل اليسوعي